# الشخصية الإنسانية
## في ضوء القرآن الكريم

يقلم
د. أحمد عبد الحميد غراب

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٥

الاخراج الفنى : زهور السلام شاكر

# مقدمة

حقائق الاسلام لا تفاوت فيها ، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان! لكن التعريف بالاسلام قد يحتاج الى شيء من التأنى والتصرف حسب ما يواجه الكاتب من شبهات تثار ، أو عقبات تقام ، أو أسئلة تعرض ، وعندئذ يبذل المؤلف جهده فى رد الشبهة وازاحة العوائق ، وشرح الغوامض وابراز ما قد يخفى من محاسن ... وعصرنا هذا بحاجة الى علماء مهرة يمهدون طريق الدعوة ، ويتلطفون فى ايصالها الى الأفئدة ويفدمون الوحى الأعلى مغنيا عن كل ما انشغل الناس به من أهواء ومذاهب ..

والأستاذ الدكتور أحمد غراب رجل واسع الاطلاع على العلوم الدينية ، والثقافات الغربية أو على الاسلام والمذاهب المقابلة له ، وقد أعانتههذه السعة على وضع دراسة « لتصنيف الشخصية الانسانية فى ضوء القرآن الكريم » حسب تعبيره ، أو رسم الرحلة من الظلمات الى النور! واخراج الناس من الظلمات الى النور انعام الهى يحظى به من والاهم الله منخلقه، وأيدهم بروح من عنده «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم منالظلمات الى النور ... » بيد أن هذه النعمة لها مفاتحها وخزائنها ، لها رجال يهدون بالحق ويدعون على بصيرة ، والكتاب الذى بين أيدينا يحتوى على ثروة كبيرة من التوجيهات الراشدة والقضايا الصائبة ، ألفه رجل آتاه الله خبرة بأحوال العصر ، وطبائع الجماعة الاسلامية هناوهناك ، وله المام دقيق بتاريخنا الثقافى ، واحساس بالزاد الفكرى والروحى الذى يناسب أمتنا فى هذه الأيام مع سهولة فى الأسلوب واشراق فى الأداء نسأل الله النفع به .

**محمد الغزالى**

بسم الله الرحمن الرحيم

# ١ ـ مقدمة

# الشخصية الانسانية فى غير الاسلام

يقوم تصنيف الشخصية الانسانية فى غير الاسلام على مقاييس بشرية جاهلية مختلفة ، ترتكز فى معظمها على الاهواء والظنون ٠

فبعضها يقيم شخصية الانسان من حيث الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها أو من حيث جنسه أو لون جلده ، أو مقدار دخله ، أو من حيث قوميته أو وطنه، وبعضها يقيم شخصية الانسان من حيث بنية جسمه أو تركيب مزاجه ، وبعضها الآخر يقيم الانسان من حيث موقفه من الناس ٠

فالهنود ـ طبقا لديانتهم الهندوسية ـ يقسمون الناس حسب طبقاتهم ، ويقيمون شخصية كل انسان حسب الطبقة التى ينتمى اليها : فأسمى شخصية هى شخصية الانسان الذى ينتمى لطبقة الكهنة (البراهمة)، وتليها شخصية من ينتمى لطبقة المحاربين ( الكشتريا ) ، ثم من ينتمى لطبقة التجار والصناع والفلاحين ( الويشيا ) ، وأخيرا من ينتمى لطبقة الخدم والعبيد ( الشودرا ) ٠ وترجع أصول الطبقتين الأوليين الى الجنس الآرى ، والأخريين الى الجنس الطورانى ٠

وهناك طائفة أخرى أسوأ من طبقة الخدم والعبيد وهى طائفة المنبوذين (The Untouchable) وتعتبر هذه الطائفة عندهم أحط من أن تدخل فى التقسيم الاجتماعى ، ويعامل أفرادها كأنهم حيوانات أو أقل مستوى ، وهم محرومون من حقوق الانسان ، وأحقر الحرف مقصورة عليهم، وأبواب العلم موصدة فى وجوههم ، والانسان الذى ينتمى لهذه الطائفة ( أو لأى طبقة أخرى ) لا يسمح له بالترقى الى طبقة أعلى ٠ فالمنبوذ يظل منبوذا طول حياته ، ولا ذنب له الا انتماؤه لتلك الطبقة ، أما من ينتمى

لطبقة الكهنة فيظل ممتازا طول حياته ولا فضل له سوى انتمائه لتلك الطبقة · ويربطون هذا التقسيم الطبقى بنص دينى هندوكى يقول « ان الاله برهما خلق البرهمى من فمه ، والكشتريا من ذراعه ، والويشيا من فخده ، والشودرا من رجله ، فكان لكل من الطبقات منزلته على هذا النحو · أى أن هذا التقسيم أبدى لا يتغير لأنه من صنع الاله · ويقرر أبو الريحان البيرونى أن هذه الطبقية الصارمة حالت بين كثير منهم وبين اعتناق الاسلام ، وذلك لمساواة الاسلام بين الناس الا بالتقوى (١) ·

وهذه النظرة الى الانسان من خلال طبقته لم تكن مقصورة على المجتمع الهندى بل كانت سائدة فى المجتمع الفارسى القديم(٢) ، وبين اليونان والرومان ، بل مازالت سائدة فى بعض المجتمعات الغربية الحديثة « المتحضرة » فبالرغم من أن بريطانيا مثلا لا تفتأ تزعم أنها موطن الديمقراطية لا يزال الاحساس الطبقى فيها قويا ولا سيما بين أفراد الطبقة الأرستقراطية التى ما زال انتماء الفرد اليها يعد سمة من سمات النبل ، وما زال يكسبه مزايا « وراثية » لم يكن ليحلم بالحصول عليها لو كان من الطبقة العاملة ·

أما معاملة السود فى أمريكا فهى أشهر من أن تذكر ، ويكفى أن نشير الى أنه فى المجتمع الامريكى تقيم شخصية الانسان غالبا حسب لون جلده فاذا كان هذا اللون أبيض حكم لصاحبه بالتفوق والامتياز ، واذا كان أسود حكم عليه بالتخلف العقلى والخلقى وعوقب بأنواع من العقوبات الاجتماعية فيها كثير من الامتهان لانسانيته ، كأن يحرم هو وأولاده مثلا من وظائف ومطاعم ومدارس معينة مقصورة على البيض ، وما ذاك الا بسبب لونه ، وهو شىء ليس من صنعه بل من صنع الله ·

وتنوع ألوان البشر كتنوع لغاتهم ظاهرة لا علاقة لها فى الاسلام بتفوق الانسان أو تخلفه ، وانما تدل على قدرة الله وحكمته فى الخلق ومن ثم تعد آية من آياته التى ينبغى على العلماء دراستها · قال تعالى :

**« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين » ( الروم ٣٠/٢٢ )**

---

(١) راجع البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٦ ـ ٧٧ · وأحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص ٥٣ ·

(٢) راجع البيرونى : السابق ص ٧٥ والمسعودى : التنبيه والاشراف ص ٩٠ وكريستنسن : ايران فى عهد الساسانيين ص ٨٥ وما بعدها ·

والهدف فى الاسلام من دراسة اللغات والأجناس هو تحقيق التعارف والتعاون بين الشعوب ، لا اثارة العداوة والبغضاء بينها ؛ بدعوى العصبية العمياء . قال تعالى :

**« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ( الحجرات ٤٩/١٣ ) .**

ومعروف أن تعصب الحضارة المادية فى الغرب قد أدى الى نشأة « نظريات » تزعم تفوق الرجل الأبيض والجنس الآرى والانسان الأعلى . ومعروف كذلك أن الغرب قد التمس فى هذه النظريات تبريرا لاستعماره للشعوب الأخرى ، واستعباده الجماعى لأحرارها ، ونهبه المنظم لثرواتها .

واذا تركنا هذه التصنيفات التى تقوم على التعصب والهوى الى تصنيفات أخرى نلبس مسوح العلم فسنجد بها بعض ما يفيد ولكن سنجد أنها تقوم أساسا على الظن لاعلى اليقين .

**ومن أهم هذه التصنيفات ثلاثة :**

١ ـ **التصنيف الطبى** القديم لشخصية الانسان حسب مزاج البدن الى أربعة أنواع : دموى ( حاد الطبع ) ، وبلغمى ( بارد الطبع ) ، وصفراوى ( غضوب ) ، وسوداوى ( متشائم ) .

٢ ـ **التصنيف النفسى** : ففى علم النفس الحديث نجد التصنيف المعروف الذى وضعه عالم من أشهر علماء النفس وهو يونج (Jung) الذى صنف شخصية الانسان الى نوعين : انطوائى Introvert وانبساطى Extrovert

٣ ـ **وهناك تصنيف ثالث أحدث عهدا يربط شخصية الانسان بنوع بنية جسمه** ، وعلى اساس هذا الارتباط يقسم الشخصية الانسانية الى ثلاثة أنواع (١) :

١ ـ **الشخصية الاجتماعية** : وهى شخصية الانسان الذى يحب الاختلاط بالناس ؛ ولا يكاد يطيق فراقهم ، ويكره العزلة والتأمل ، ويحب الطعام ( ولا سيما مع الناس ) ، والمال والراحة والترف . وعندما تنتابه

(١) راجع : A. Huxley : The Perennial Philosophy, p. 156-9.

أزمة ، أو يقع فى شدة ، يهرع الى الناس طالبا عونهم ، أو على الأقل صحبتهم ! وجسمه يتميز بالنعومة والرخاوة والميل الى السمنة !

٢ ـ **الشخصية المحبة للسيطرة** : وهى شخصية الانسان الذى يهوى ممارسة النشاط البدنى . ويحب السلطة والقوة ومظاهرهما ، كما يحب التنافس والتغلب على الآخرين ، ولا يبالى بما يعانى فى سبيل ذلك من آلام ، كما لا يبالى بمشاعر الناس . واذا وقع فى شدة حاول التغلب عليها عن طريق القيام بأنشطة بدنية (كالرياضة) وبنية جسمه قوية تمكنه من تحمل المشاق ، وعظامه كبيرة ، وعضلاته مفتولة ! .

٣ ـ **الشخصية المحبة للتفكير** : وهى شخصية الانسان الذى لا يهتم كثيرا بالعالم الخارجى ، ولا يستريح الى لقاء الناس ، وهو حيى وعصبى اذا اضطر الى الاجتماع بهم ، وهو يحب العزلة والانطواء ، والتفكير والتأمل . ولا يكف عن نقد الناس والمجتمع من حوله ، ولا يبالى بجمع المال ، ويحتقر حياة الترف ومظاهر القوة البدنية والسلطة ، ويتميز بحساسية مرهفة . أما جسمه فهزيل ، دقيق العظام ، ضعيف العضلات!

ومن الواضح أن هذا التصنيف فيه بعض الحق وبعض الفائدة ، ولا سيما فى امكانية استخدام هذه الخصائص النفسية فى التربية .

## ولكن كل هذه التصنيفات تقوم على الظنون :

**فالتصنيف الطبى** يجعل مزاج الجسم هو الحاسم فى تحديد شخصية الانسان ، اذ يجعل كل قواه النفسية والعقلية خاضعة وتابعة لعناصر جسمه . ولا شك أن للجسم أثرا فى تفكير الانسان وشعوره وسلوكه ، ولكنه ليس العامل الوحيد ؛ فضلا عن أن يكون العامل الحاسم . فمن المعروف أن ما يشغل عقل الانسان ووجدانه من تفكير وشعور يؤثر فى جسمه ، فالقلق مثلا قد يسبب أمراضا كقرحة المعدة . والانفعال الشديد يؤثر على القلب ، وسلوك الاشرار كاللصوص والقتلة يؤدى عاجلا أو آجلا الى سوء صحتهم . ومن المعروف كذلك أن الارادة الانسانية الواعية لها أكبر الأثر ليس على جسم الانسان فحسب بل فى توجيه حياته كلها . وهذا التصنيف فى الحقيقة يكاد يلغى كل أثر للارادة الانسانية ، اذ يخضع الانسان لنوع من « الجبرية » الجسدية تجعله محكوما فى كل تصرفاته وأعماله ببنية جسمه التى لا دخل له فى تركيبها أو خلقها .

**والتصنيف النفسي** : لشخصيات الناس الى نوعين : انطوائى وانبساطى يقوم على نظرة خاطئة ، تنقضها ملاحظاتنا اليومية لأنواع ونماذج شتى من الشخصيات · كما أن هذا التصنيف يجعل العلاقات الاجتماعية بالناس هى المقياس النهائى لتقييم شخصية الانسان ، فهو اما انطوائى أو انبساطى بالنسبة لهم · وسنرى أن هذا المقياس ليس صحيحا ·

**أما التصنيف الأخير فينتقد من عدة وجوه :**

١ ـ أنه كالتصنيف الطبى يقوم على الربط بين نوع معين من الجسم ونوع معين من الشخصية ، وأن العامل الحاسم فى هذه العلاقة هو الجسم ، وقد بينا خطأ هذه الفكرة وما تؤدى اليه من جبرية ·

٢ ـ أن الانسان الواحد قد يجمع فى شخصيته بين كل هذه الخصائص فيكون قوى الجسم ، اجتماعيا ، ذا سلطة ؛ ومع ذلك يكون ذا حساسية مرهفة وتفكير عميق · وقد اصطفى الله طالوت ملكا على بنى اسرائيل ؛ وكان من أسباب اصطفائه أن الله :

**« زاده بسطة فى العلم والجسم » ( البقرة ٢/٢٤٧ )**

وكثير من العلماء والمفكرين يتمتعون بأجسام قوية وصحة جيدة · وكان كثير من علمائنا المسلمين مجاهدين قاتلوا بسيوفهم فى سبيل الله ؛ وكان لهم من الكفاءة البدنية و« اللياقة » العسكرية ما جعلهم جنودا ودعاة فى آن واحد · وكان أسوتهم الحسنة فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أوتى أشرف العلم وهو علم النبوة ، وأشرف الحكم وهو خير أمة أخرجت للناس ، كما أوتى قوة فى الجسم جعلته لا يصارع أحدا الا صرعه ·

٣ ـ أن التصنيفات النفسية الحديثة ـ ومنها التصنيف الأخير ـ تتجه غالبا الى أن تجعل الناس فى هذه الدنيا هم القياس النهائى لتقييم الشخصية · أى أن علاقة الانسان بالناس ونوع هذه العلاقة ، وما اذا كانت ترضيهم أو تسخطهم ، هى التى تحدد نوع شخصية الانسان ، وما اذا كان اجتماعيا أو انطوائيا أو محبا للمغامرة أو للتأمل · وسنرى فى هذه الدراسة أن هذا خطأ وضلال بعيد ، لأن الناس فى تقييمهم لانسان ما ، أو حكمهم له أو عليه ، يكونون غالبا مدفوعين بأهوائهم وما يظنون أن ذلك الانسان يجلبه لهم من نفع ، أو يدفع عنهم من ضرر ، فاذا كان فى ظنهم ينفع ويضر نافقوه ، وان كان بعكس ذلك أهملوه أو لم يقدروه حق قدره ·

**ومن ناحية أخرى فان جعل السلطة النهائية للحكم** للفرد أو عليه فى يد المجتمع يؤدى الى اخضاع الانسان لاتجاه الأغلبية ، أو على الأقل الى الضغط الشديد عليه ليخضع لاتجاه الأغلبية ، مهما كان هذا الاتجاه فاسدا ( كما هو الحال فى الديمقراطية الغربية الحديثة ووسائل الاعلام المعاصرة ) ٠

والاسلام يوجب على المسلم أن يؤيد الاتجاه الحسن ، ويقاوم الاتجاه الخبيث **مهما كثر أنصاره** ٠

**« قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » ( المائدة ٥/١٠٠ )**

ولذلك ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم أن يكـون امعة فيقول : « لا يكن أحدكم امعة يقول : أنا مع الناس ان أحسنوا أحسنت وان اساءوا اسأت ؛ ولكن وطنوا انفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم » ( الترمذى ) ٠

## مقياس القرآن

القرآن لا يقيم شخصية الانسان من خلال طبقته أو جنسه أو قوميته أو بنية **جسمه أو لون جلده أو مواقفه من الناس ٠ فهذه** كلها أحكام تصدر عن اهواء البشر ، وظنونهم ، وتمثل ضلالهم بسبب بعدهم عن الله :

**« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » ( النجم ٥٣/٢٣ )**

للقرآن مقاييس أخرى فى تقييم شخصية الانسان ترجع كلها الى مقياس واحد وهو : موقف الانسان من هدى الله

وهذه الدراسة هى محاولة لبيان التصنيف القرآنى للشخصية الانسانية على أساس هذا المقياس ٠٠

وهى كذلك دراسة نفسية تربوية هادفة ، تقوم على هدى القرآن الكريم ٠

ومن أهم الأسباب التى دفعتنى الى هذه الدراسة ما يلى :

١ — أن معظم ما هو متاح للدارس المسلم اليوم ( طالبا واستاذا )

في موضوع الشخصية الانسانية هو كتابات الغربيين ولا سيما في التربية وعلم النفس . وهذه الكتابات وان كان فيها عناصر يجب الاستفادة منها لأن الحكمة ضالة المؤمن ـ فهي أساسا تمثل وجهة النظر العلمانية الالحادية السائدة **في علوم الغرب بوجه عام ، وفي التربية وعلم النفس بوجه خاص** . ومن الواجب على المسلمين ألا يكتفوا بنقد وجهة النظر هذه ، بل **أن يقدموا البديل عنها ، وهي وجهة النظر الاسلامية** .

٢ ـ أن الدراسات الاسلامية المعاصرة في هذا الموضوع ، وهي التي يمكن أن توصف بأنها مستمدة من مصادر الاسلام ( ولا سيما من القرآن والسنة ) وممثلة لوجهة النظر الاسلامية، ومكتوبة بأقلام مسلمين ملتزمين ـ مازالت قليلة . وبعض هذا القليل يجنح إلى الخطابيات والمبالغات ، أو يكتب بروح اعتذارية انهزامية ، أو يكتب من وجهة نظر لا اسلامية ( علمانية غربية غالبا ) ثم يلبس منسوحا اسلامية ويعطى مصطلحات اسلامية ( كالقول مثلا بأن الضمير هو النفس اللوامة ! ) .

٣ ـ أكثر من أعطى موضوع تربية الشخصية المسلمة حقه من علمائنا المسلمين هم علماء الأخلاق والصوفية الملتزمون بالكتاب والسنة ، كالامام الغزالي في كتابه : **احياء علوم الدين** .

ولكن بعضهم خلطوا الأفكار الصالحة المستمدة من القرآن والسنة **بأفكار أخرى مستمدة من مصادر غير اسلامية : كالمصادر الهندية واليونانية** والمسيحية .

٤ ـ **أن معظم المفكرين المسلمين المعاصرين** ( الا قلة أشرت اليهم واستفدت منهم في هذه الدراسة ) يعطون الموضوعات السياسية والحكومة والاقتصاد والتشريع اهتماما أكبر مما يعطون لموضوع الشخصية المسلمة . ولا شك أن تلك الموضوعات تستحق الاهتمام الشديد ، ولكن موضوع الشخصية المسلمة لا يقل عنها أهمية ان لم يزد . فمن الحقائق التي ادركها وأكدها **قادة ومفكرو الحركة الاسلامية المعاصرة** ـ كالامام حسن البنا والأستاذ المودودي رحمهما الله والأستاذ أبو الحسن الندوي أطال الله عمره ـ أنه لا يمكن قيام حكومة اسلامية أو تشريع أو اقتصاد مالم توجد الشخصيات المسلمة التي تتولى هذه المهام ، بل لا يمكن قيام أي نوع من التنظيم الاسلامي الا اذا كانت لبناته سليمة .

٥ ـ ان الاسلام يقدم للناس غالبا في صورة مبادىء وتعاليم نظرية والحقيقة أن عظمة الاسلام تتجلى دائما في شخصيات حية : تفهمه حق

الفهم ، وتؤمن به أعمق الايمان ؛ وتعيش كل مبادئه وتعاليمه ؛ ومن ثم ينعكس ايمانها فى « سلوك » اسلامى هو « أعمال » صالحة ·

وهذا هو منهج القرآن الكريم ·

فالقرآن مثلا لا يعطي تعريفات نظرية للايمان والتقوى ، وانما يصف **المؤمنين والمتقين بأخلاقهم وأعمالهم** · وهذا المنهج اجدى علميا وعمليا من المنهج الفلسفى النظرى القائم على المفاهيم المجردة والنظريات التى تبدو جميلة على الورق ، بينما تتحطم على أرض الواقع الانسانى ·

والمثل الكامل للمبادىء والتعاليم الاسلامية ، أى النموذج الحى لهدى الله ، هو **شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ثم شخصيات المهتدين** بهديه من الصحابة والتابعين وورثة الأنبياء من العلماء **فى كل العصور** · **ولهذا ينبغى أن تستمد خصائص الشخصية المسلمة من القرآن والسنة** وسيرة ورثة الأنبياء ، كما ينبغى أن نعرض هذه الشخصيات على أبنائنا وبناتنا على أنها الأمثلة الحية على كمال الاسلام وجماله ·

٦ ــ ان الاتجاه الذى ظهر حديثا بين المسلمين وهو الغلو في التكفير (١) ، يرجع فى بعض جوانبه الى أن الشخصية المسلمة بكل صفاتها وخصائصها لم توضح توضيحا كافيا بالمقارنة الى أنواع الشخصيات الأخرى التى وردت فى القرآن ، وهى أنواع عديدة كما سنرى فى هذه الدراسة · **ولذلك يكتفى** كثير من المسلمين ــ لا سيما الشباب ــ **بالحكم بأن الانسان اما مؤمن أو كافر ولا ثالث لهما · وهذا التقسيم شديد العموم** يحتاج الى تفصيلات مستمدة من القرآن توضح أنواع الشخصيات التى تندرج تحت هذا التقسيم والصفات التى تميز كل نوع · وسنجد كثيرا من هذه التفصيلات اذا بحثنا فى القرآن **ليس أولا عن مفهوم الايمان والكفر، بل أولا عن مفهوم الهدى والضلال ·**

فالحقيقة أن الايمان فى القرآن هو **الايمان والعمل بالهدى عن علم به** والكفر هو **رفض الهدى وعدم اتباعه بعد العلم به ·**

والهدى درجات ، والمهتدون أنواع : فمنهم مثلا أصحاب اليمين ومنهم المقربون ·

وكذلك الضلال درجات والضالون أنواع ، ومنهم الضالون عن علم

---

(١) للدكتور يوسف القرضاوى رسالة فى هذا الموضوع عنوانها **ظاهرة الغلو فى التفكير** ·· وكتاب الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف ·

بالهدى وهم الكافرون وتحتهم أنواع ، ومنهم الضالون عن جهل بالهدى كله أو بعضه ، وهؤلاء أيضا انواع · ولكل نوع صفات تميزه عن غيره ·

وللهدى والضلال فى القرآن كذلك خصائص ومسببات ينبغى أن تدرس وتستكشف ويستفاد من دراستها واستكشافها فى محاولة هداية الجيل الضال وبناء الجيل المهتدى ، اى فى عملية اخراج الناس من الظلمات الى النور ·

وهذه الدراسة ما هى الا خطوة على هذا الطريق ·

والمنهج الذى اتبعته هو منهج القرآن الكريم ·

منهج التبين عن طريق الوصف والخصائص العامة للشخصيات ، وضرب الأمثلة وايراد النماذج لها ، واكتشاف الأسباب والمسببات للهدى والضلال · ثم محاولة الاستفادة من هذا المنهج فى محاولة اخراج الناس بكتاب الله من الظلمات الى النور ·

فذلك أجدى عليهم وعلينا من اصدار فتاوى سريعة وأحكام عامة بالايمان والكفر ·

وادعو اخوانى وأساتذتى من العلماء العاملين أن يشاركوا فى هذا الجهد المتواضع ، وأن يصححوا خطأه ، ويتمموا نقصه · فكل مسلم يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والكمال لله وحده ·

وأدعو الله تبارك وتعالى أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بها جميع المسلمين ·

الفقير الى ربه
احمد عبد الحميد غراب

رمضان ١٤٠٤ هـ
يونيه ١٩٨٤ م

# ٢ ـ الهدى

## خصائص الهدى (١)

**(١) الهدى الحق هو هدى الله الذى جاء فى القرآن ( وفسرته السنة ) ٠**

أى أن الهدى الحق للبشرية هو فى الاسلام وحده ، وليس فى أى دين أو نظام آخر :

**« ان الدين عند الله الاسلام » ( آل عمران ١٩/٣ )**

**« ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله » ( ٧٣/٣)**

**« ومن يبتغ غير الاســـلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » ( ٨٥/٣ ) ٠**

**(٢) هدى الإسلام هو من الله وليس من البشر ؛ أى أنه ربانى المصدر**

وهذا يضمن عدالة تعاليمه وشمولها للناس جميعا ٠ أما تعاليم البشر فتصدر عن أهوائهم فتؤدى الى الظلم والفساد ٠ ولذلك يأمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أمرا مؤكدا مكررا أن يحكم بين الناس بكتاب الله :

**« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » ( المائدة ٤٨/٥ ) ٠**

وكذلك يأمر نبيه داود عليه السلام :

**« فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله» ( ص ٢٦/٣٨ )**

---

(١) عرضنا هذه الخصائص بايجاز ، ومن أراد التوسع فليراجع : المودودى : مبادىء الاسلام ، وسيد قطب : خصائص التصور الاسلامى ، ويوسف القرضـــاوى : الخصائص العامة للاسلام ٠

(٣) ولأن كتاب الاسلام المشتمل على الهدى هو وحى من الله فهو حق لا ريب فيه ، ولا تحريف ولا تناقض ولا باطل . كما أنه منزه عن ظنون البشر وأهوائهم :

**« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين »( البقرة ٢/٢ ).**

**« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ( فصلت ٤٠ ٤١ ـ ٤٢ ) .**

**« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » (النجم ٥٣/٣-٤) .**

**« ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » ( ٥٣/٢٣ )**

**(٤) الاسلام رشد**

أى أن اتباع تعاليمه يقود الانسانية الى حياة راشدة حكيمة ، حياة طيبة تقوم على الفضيلة ، وتؤدى الى الخير والسعادة لبنى الانسان جميعا . أما التعاليم الأخرى فتحقق خيرا جزئيا ، أو لا تحقق خيرا على الاطلاق ، أو تحقق الشر والشقاء :

**« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ( الاسراء ١٧/٩ ) .**

**« انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به » ( الجن ٧٢/١-٢)**

**« فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » ( ٧٢/١٤ )**

**« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ( الأنبياء ٢١/١٠٧ ) .**

**(٥) والاسلام نور**

ومن طبيعة النور أن يكون واضحا بنفسه ، وموضحا لغيره . أى أن الاسلام يبين للناس الحقائق ، ويدلهم على طريق الخير ، بصورة يقبلها العقل وتتفق مع الفطرة . ومن ثم لا غموض فيه ولا خرافة ، ولا تكليف بما لا يطاق . ومن نتائج نشر هذا الهدى بين الناس أن يخرجهم من الظلمات الى النور ، ولهذا فنشره بين الناس وتبيينه لهم فرض على كل مسلم عالم عامل بالاسلام . ومتى تحقق التبيين انتفى الإكراه .

**« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه**

سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » ( المائدة ٥/١٥ ــ ١٦ ) ٠

« كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » ( ابراهيم ١٤ / ١ ) ٠

« فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » ( الروم ٣٠/٣٠ ) ٠

« وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » ( النحل ١٦/٤٤ ) ٠

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » ( البقرة ٢/٢٥٦ ) ٠

( ٦ ) والنور واحـــد

لأن مصدره وهو الحق تبارك وتعالى واحد ، ومن ثم فطريق النجاة للانسان طريق واحد ، لا طريق غيره ، وهو الاسلام ٠ أما الطرق الأخرى فتبتعد به عن النجاة وتورده موارد الهلكة ؛ وهى طرق كثيرة وملتوية ٠ ولذلك لا يرد لفظ « النور » فى القرآن الا مفردا ؛ بينما لا ترد الظلمات الا جمعا :

« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » ( النور ٢٤/٤٠) ٠

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »

(الأنعام ٦/١٥٣ )

( ٧ ) وكما أن الطريق واحد فهو طريق مستقيم

ولذلك عرف الاسلام بأنه دين الصراط المستقيم واتباع هذا الصراط هو الهدى والانحراف عنه هو الضلال :

« من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم » (٦/٣٩)

« قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما » ( ٦/١٦١ )

وكذلك كتاب الاسلام كتاب مستقيم لا عوج فيه :

« قرآنا عربيا غير ذى عوج » ( الزمر ٣٩/٢٨ )

« أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما » ( الكهف ١/١٨ ـ ٢ ) ٠

**( ٨ ) الاسلام يهدى الانسان فى كل جوانب حياته الفردية والاجتماعية**

فيقدم له ما يصلحه فى جسده وروحه وعقله ، ويربط بينه وبين أسرته ومجتمعه برباط المحبة والايثار والتعاون على البر والتقوى وكما يهديه فى العقيدة والعبادة والشريعة والسياسة والأخلاق والثقافة ، ويجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة ٠ يقول الله تعالى :

**« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ( القصص ٧٧/٢٨ ) ٠**

وليهتدى الانسان بهدى الاسلام فعليه أن يأخذه كلا متكاملا ، وبهذا يحيا الحياة الطيبة التى تحفل بالأعمال الصالحة ، المقصود بها وجه الله وحده ٠ ويقول الله تعالى :

**« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » ( النحل ٩٧/١٦ ) ٠**

٩ ـ يجمع الاسلام بين المبادىء الربانية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان **وبين تشجيع الفكر البشرى على الابداع المتطور بتطور الزمان والمكان ٠**

ولذلك يفتح الاسلام باب الاجتهاد ليس فى مجال التشريع فحسب بل وكذلك فى مجالات الفكر والعلوم ، والنظر والتطبيق ٠ ومن ثم يأتى القرآن غالبا بالمبادىء العامة والكليات ويترك التفاصيل والجزئيات وطرائق التطبيق لاجتهاد الانسان طبقا لظروفه المتغيرة ٠ **كما يكرر القرآن أن من أهداف الوحى به اثارة تفكير الانسان ودعوته الى دراسة الظواهر الكونية والانسانية والاستفادة منها :**

**« فاعتبروا يا أولى الأبصار » ( الحشر ٢/٥٩ ) ٠**

**« انظروا ماذا فى السموات والأرض » ( يونس ١٠١/١٠ )**

**« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض » ( الجاثية ١٣/٤٥ )**

**١٠ ـ الاسلام يقوم على نفس الاسس العامة التى اشتملت عليها الأديان الموحى بها قبله ٠**

ومع هذا فهو مهيمن عليها أى أكمل منها جميعا ، لأنه يشتمل على خير ما فيها ،

**ويضيف اليها ما يصلح للبشرية فى كل زمان ومكان :**

**« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ( المائدة ٥/٤٨ )**

## نعمة الهدى

عندما يتقبل الانسان الاسلام ويؤمن ويعمل به ـ فقد تقبل هدى الله وآمن وعمل به ٠

وباتباعه هذا الهدى يخرج من الظلمات الى النور ، وينتقل من الشقاء الى السعادة ٠ وهذه أجل نعمة يسبغها الله على الانسان بعد خلقه وهى نعمة هداه ٠

ومن الدلائل على جلال هذه النعمة أن ورد الدعاء بها فى اكثر السور تكررا فى حياة المسلم وهى سورة الفاتحة ، **وفيها يقرأ المسلم داعيا ربه :**

**« اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ( الفاتحة ١/٦ ـ ٧ ) ٠**

**وقد من الله على المؤمنين بهذه النعمة فقال تعالى :**

**« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة ٥/٣)**

**ونعمة الاهتداء تؤهل المهتدى لأكرم صحبة فى دار البقاء :**

**« ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ٠ ذلك الفضل من الله » ( النساء ٤/٦٩ـ٧٠)**

**ولا فضل للانسان فى هذه النعمة ، بل الفضل لله وحده ، وذلك لسببين :**

١ ـ أن الانسان لم يأت بهذا الهدى من عند نفسه ، أو بجهده

الخاص ؛ بل اتاه الهدى من عند الله عن طريق الوحى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ·

٢ ــ أن تقبل الانسان للهدى يرجع الى توفيق الله اياه : بأن شرح الله صدره للاسلام ؛ وكذلك خلقه على صورة مهيأة ( وليست مرغمة ) بالفطرة والعقل والحس لقبول الهدى ·

**والى هاتين الحقيقتين تشير الايات الكريمة التالية :**

**« وقالوا » أى المؤمنون الصالحون : « الحمد لله الذى هدانا لهـذا » أى لهذا الدين الذى هدانا اتباعه الى الجنة**

**« وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » ( الأعراف ٤٣/٧) ·**

**« قل ان ضللت فانما اضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب » ( سبأ ٥٠/٣٤ )**

**« يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » ( الحجرات ١٧/٤٩ )**

**« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام » ( الأنعام ١٢٥/٦ )**

## الجهد الانسانى فى الاهتداء

هـل معنى هذا أن الانسـان مجرد آلة سلبية لا ارادة له ولا عمل سوى استقبال الهدى ؟ واذا كان كذلك فما المبرر الأخلاقى لمسئوليته ؟ أى لثوابه وعقابه ؟

الواقع أن الانسان ليس مجرد آلة ، وانما كائن كرمه الله فخلقه فى أحسن تقويم، وجعله عاقلا: أى قادرا على التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال كما جعله مريدا : أى قادرا على اختيار أحد الطريقين بعد التمييز بينهما ·

ومن ثم فللانسان المؤمن جهد واضح فى اختيار الهدى ·

وعملية الاختيار تستلزم منه جهودا كثيرة لا بد ان يقوم بها ليكون اختياره قائما على اقتناع واع لا على تقليد اعمى · **ومن أهم هذه الجهود ما يلى :**